

كتب

في «الفراشات الضفر والسادة المستبدون»: أميركا اللاتينية تروي تاريخها»، الصادر حديثاً بالإسبانية، تسعى الباحثة الألمانية ميتشي شتراوسفيلد إلى الإحاطة بأدب القارة اللاتينية وتاريخه. عمل يخطي أكثر من خمسة قرون من الكتابة

الأدب اللاتيني بفصوله المتعدّدة

زهورٌ كثيرة في باقة واحدة

جعفر العلوي



قبل عامين، نشر تشافي آين كتابه الشهير «سنوات الانفجار تلك: ماركيز، بوسا والأصدقاء الذين غُربوا كل شيء». حينها وصف الكتاب بأنه تناول ظاهرة الانفجار، «اليوم»، بشكل كامل، مع أنه، في حقيقة الأمر، اقتصر محتواه على مجموعة الأصدقاء الذين أسسوا لإحدى الحركات السردية الأكثر لفتاً وقوة في العالم الأدبي. وكان الكتاب، كما يعرف قراءه، ثمرة العديد من المقابلات مع مؤسسي تلك الحركة الأدبية، من دون إهمال الدور الكبير الذي لعبته الوكيلية الأدبية كارمن بالخييس. اليوم، مع صدور كتاب «الفراشات الضفر والسادة المستبدون: أميركا اللاتينية تروي تاريخها» (منشورات «ديباتي»، 2021) لمؤلفته الألمانية ميتشي شتراوسفيلد، المتخصصة في دراسة أدب أميركا اللاتينية، أصبح كتاب تشافي تفضيلاً صغيراً من تفاصيل كتاب الباحثة الألمانية الشامل، ولا سيّما أنها تتعامل مع مرحلة الانفجار الأدبي على أنها مجرد فصل من فصول أدب القارة.

يبدأ الكتاب مع «الاكتشاف» (الغزو الإسباني)، أي في تشرين الأول/ أكتوبر من عام 1492، عندما كتب كريستوفر كولومبوس إلى البابا الكسندر السادس أن لديه انطباعاً بأن «هذه الأماكن هي الجنة على الأرض». ثم بعد ذلك تدرش الباحثة المؤرخين الرئيسيين: برنال دياز ديل كاستيلو في المكسيك، وإنكا غارسيلاسو دي لا فيغا من بيرو، من دون أن تنسى تودين دهشة الإسبان أمام القصور والساحات والطرق في الوقت نفسه الذي اكتشفوا فيه القبائل البدائية والحضارات الراقية ذات الهندسة المعمارية الرائعة، علاوة على مدن البحيرات. يقفز الكتاب بعد ذلك، فقرة السنوات الاستعمارية من دون التوقف عن الاستشهاد، بطبيعة الحال، بالراهبة خوانا إينيس دي لا كروز، مريدة الشاعر الإسباني غونغيرو. ولا سيّما تلك المرحلة التي حُظرت فيها الروايات في أميركا، بسبب غمض لا يبريد أحد أن يكشفه حتى الآن. لم ينجح الحظر في ما يتعلق باستيراد الكتب، فالتهريب كان في أوجه (يقال إن النسخ الأولى من «دون كيشوته» لسيرفانتس وصلت إلى مدينة كالاو البيروفية مخبأة في دنان النبتة)، لكنه نجح في منع إصدار الكتاب. هكذا كانت رواية «مغامرات بريكيو ساريننتو»، للكاتب المكسيكي خوسيه خواكين فيرنانديز دي ليزارد، أول رواية تُطبع في أميركا عام 1816.

يستدّ الكتاب ويصبح أكثر إثارة مع مرور الصفحات والسنين، وتحديداً في القرنين التاسع عشر والعشرين، مع استقلال المستعمرات وبدء فترة الديكتاتوريات العسكرية، حيث تدخل دول أميركا اللاتينية كلها تقريباً. الاستثناءات يمكن عدّها على أصابع اليد الواحدة. في دوامة القتل والعنف والنهب وتدمير الجمهوريات الجديدة، لتخون بذلك إرث المحرّر بوليفار. إنّها اللحظة المناسبة كي يظهر فيها الشعر والروايات بكثافة، كخمرة أدبية



لا اختلاف جوهرياً، عند المؤلفة، بين أدب بلدان القارة

تشرح الكاتبة إصابة أدب القارة بعدوى المشكلات الاجتماعية



الصاف فراشات على جدار مكتبة بمدينة المكسيك في الذكرى الأولى لرحيل ماركيز (Getty)

للحرب والمشكلات الاجتماعية المتعدّدة. تصرّ ميتشي شتراوسفيلد، على نحو مقنع، على أن هذا الأدب سيملا الفجوات التي خلّفها التاريخ، علاوة على تمجيده وتنويعه إلى حد لا تستطيع الحقائق التاريخية العظيمة سرد تفاصيله: المعاناة الجائرة للضحايا، القسوة التي سنترجم خلالها الانقسامات الاجتماعية الهائلة للفقراء، الطريقة التي تحمي بها الولايات المتحدة الشركات في أميركا الشمالية عن طريق رشوة أو ضرب الحكومات التي شرعت في عمليات الإصلاح الزراعي والتعليم العام وتكافؤ الفرص.

تزداد إثارة الكتاب عندما تشرح مؤلّفته - بلغة دقيقة وسهلة - الطريقة التي أصيب فيها الأدب بالعدوى من المشكلات

الاجتماعية، وراح ينقلها، تارةً مكثفةً، وأخرى على نحو أخف، انطلاقاً من الواقع الحي؛ نعم، الواقع الحي، حتى لو كنا في مدينة الموتى، مثل ما هو الحال عند خوان رولفو في «بيدرو بارامو»، أو في مشهد بلد ذمّره دكتاتور مجنون ومثقف ومتعشش للدماء، مثل الدكتور فرانسيس في روايات أوغوستو روا باستوس. ضمن هذا السياق، توثق شتراوسفيلد حالة المرأة والأدب كمكان لممارسة النضال من أجل حقوقها وتحريرها. «لم تكن النساء حاضرات، لا في أميركا ولا في أجزاء أخرى من العالم. لقد كتب عليهن أن يكنّ شاعرات أو قاضيات. وقد شكّل غيابهنّ خسارة كبيرة لفكرة الانفجار. لقد كان زمننا مختلفاً. وظلّ الأمر على ما هو عليه إلى أن ظهرت إيزابيل ليندي بروايتها «بيت الأرواح»، فكان التغيير في الموقف والسلوك، تماماً كما يحدث اليوم مع كاتبات مثل أنجليس ماستريتا أو كلوديا بينيرو»، تقول الكاتبة الألمانية.

ما ليغت الانتباه والاهتمام، في كتاب الباحثة الألمانية، تعاملها مع أدب تلك القارة الشاسعة على أنه كلي متكامل ومتنوع، لكنه، في الوقت نفسه، كل عضوي، فلا اختلافات، من حيث الجوهر، لديها بين أدب الإكوادور وبيرو وبوليفيا، أو بين الأرجنتين والأوروغواي. أمّا الشيء الآخر الذي تتوقف عنده مطوّلاً، فهو نظرتها إلى الشعر والرواية والقصة القصيرة والمقالة في تلك القارة كشيء مرتبط أساساً بالتاريخ؛ وهذا ما كانت الحال عليه في أوروبا، ولا سيّما في القرن التاسع عشر. لقد سمحت هذه النظرة لشتراوسفيلد بالإشارة ليس إلى الكتب الأدبية الأكثر إبداعاً وأصالة فحسب، بل إلى الخرافات الصغيرة والفكاهات الشخصية كذلك، مقدّمة أيّاهم كشهادات خاضة على العنف الذي يجتاح تلك القارة.

العمل مكتوب بلغة سلسلة للغاية، وعلى الرّغم من حجمه الكبير (ما يقارب 600 صفحة)، فإنّه يُقرأ بتسليّة وانجذاب، ولا سيّما أنه زاخر بالدعابات والروايات الشخصية التي شهدتها شتراوسفيلد نفسها مع كبار كتّاب تلك القارة: ستروي لنا، مثلاً، كيف بحث خوان رولفو معها عن ولاعة فاخرة فقدّها شخص ما ولم يكن في حاجة إليها، لكنه بحث عنها كما لو أنه يبحث عن صفة مناسبة لصفات الصمت في شخصيّة روايته «بيدرو بارمو»؛ كذلك ستروي لنا كيف أخبرها خوان كارلوس أونيتي، أحد فحول «اليوم الأدبي»، أن الجوّ الخافق في رواية «البفر» مستمد من حبسه في سجن الأوروغواي، حيث مُنع من التدخين. كذلك ستسرد لنا كيف استمعت بدهشة وإعجاب إلى ماريو بارغس بوسا، في الأدغال البيروفية، وهو يقرأ «النشيد الشامل» لنيرودا؛ وكيف أقنعت أكتافيو باث بحذف بضع فقرات من خطابه الذي هاجم فيه انجراف الثورة النيكاراغوية. كما أنها لن تتردّد في سرد حادثة تهدّتها لخوليو كورتاثر من الهذيان الذي عانى منه عندما اعتقد أنّ ثمة تعويذة ضدّ روايته «الحجلة» في ألمانيا. كلّ هذا تورد شتراوسفيلد في كتابها بطريقة دقيقة وبتفاصيل تجعل قراءة الكتاب سلسلة ومرحة في آن معاً.

إنّنا أمام كتاب استثنائي يقرأ أعمال ما يقارب المئتين والخمسين كاتباً، جميعهم يُظهرون الثروة والإرث الثقافي الفريد لأميركا اللاتينية، التي يتداخل مصيرها الأدبي مع مصيرها السياسي.

في خضمّ أدب القارة الغنيّة، تامر أبطاله الأدياء ليكتب كلّ منهم، انطلاقاً من مكانه، عن الحكّام المستبدين الذين عاصروهم، والذين حكموا بلدانهم. بعضهم وفي بالعهد، لكنّ واحداً منهم أسهم في تفجير هذه الاستعارة الرائعة، استعارة الفرّاشات الضفر، التي أخذتها الناقدة الألمانية من رواية «مئة عام من العزلة» لغابرييل غارثيا ماركيز واختارتها لتكون عنواناً لهذا الكتاب، لخروي من خلاله المسيرة الأدبية عبر التاريخ لأدب أميركا اللاتينية بعيداً عن النظرة الأوروبية المركزية.

نظرة أولى

عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدر حديثاً، ضمن سلسلة «ترجمان»، كتاب الباحث الأسترالي جون كين **حياة الديمقراطية وموتها**، بترجمة محمد العزيز. انطلاقاً من القول بأن الديمقراطية تعرف اليوم هشاشة لم تشهدها في تاريخها، يقتفي كين أثر نظام الحكم هذا، مقسماً إياه إلى ثلاث مراحل تميّزت فيها الديمقراطية بأشكال مختلفة: ديمقراطية التجنّع، التي ظهرت قبل الميلاد بـ 500 عام وامتدت حتى القرون الوسطى، وديمقراطية التمثيل، التي تلتها في أوروبا وأميركا طيلة خمسة قرون، وديمقراطية الرقابة التي نعرفها اليوم.

بعد إصدارها عدداً من عناوينه، مثل «سيلاند» و«الأدب الصغير» و«مساحات لقلم الرصاص»، أصدرت منشورات «زوية» السويسرية، حديثاً، ترجمة فرنسية من عمل الكاتب السويسري روبرت فالسر، **حياة شاعر**. يعدّ فالسر (1878 - 1956) واحداً من أبرز الكتاب السويسريين باللغة الألمانية، وقد وضع سلسلة من الأعمال التي كتبها لنفسه، بقلم الرصاص وبخط صغير لا يُكاد يُرى، متناولاً فيها مواضيع يومية، وطارحاً فيها تأملاته وأسئلته على ما يشاهدها وما يعيشه. يجمع «حياة شاعر»، كعادة فالسر، نصوصاً قصيرة، تراوح بين السرد والتفكير.

تبعيث العراق: شمولية نظام صدام حسين، عنوان النسخة العربية من كتاب إرون إم. فاوست، التي وقّعتها عيبر مرعي وتصدر هذه الأيام لدى منشورات «الجمل». في هذا العمل، الصادر بالإنكليزية عام 2015 لدى منشورات جامعة تكساس، يعود فاوست إلى الأرشيف المركزي لـ «حزب البعث» العراقي، ليستخلص من سجلّاته وثائق عن «النهج» الذي اتبعه الحزب لفرض سيطرته و«رويته» على البلاد، وعن أسلوب حكمه للعراق، والذي يصفه المؤلف بعبارة «الترغيب والترهيب». فاوست يضع طريقة حكم البعث للعراق بين الأنظمة الشمولية التي شهدتها القرن العشرين.

عن منشورات جامعة كامبريدج، صدر حديثاً كتاب **نظرية كانط في الوعي**، للباحث صامويل كان. يقسم كان كتابه إلى جزأين، يتناول الأول منهما الأخلاقيات الكانطية من وجهة نظر التأويل، أمّا القسم الثاني، فيتوقف عند المشكلات السياسية التي تترتب عليها هذه القراءة. يحاجج كان بأن ما يوصف عادةً كـ«تناقضات» في أطروحات كانط حول الضمير إنّما ينم عن تناقض داخلي. كما يستهدف الكاتب عدداً من الغولات الشائعة التي تربط بالأخلاقية الكانطية. مثل نفي فكرة الحظ الأخلاقي. يُظهر تناقضها مع جوهر الفكر الكانطي الأخلاقي.

عن منشورات «ضمة»، صدر قريباً كتاب **أشرطة كاسيت أنافور** للشاعر الإيطالي نيكولا غراتو بترجمة الروائية الجزائرية أمل بوشارب التي كتبت في تقديم العمل: «من خلال محاولته الأصيلة لحفظ ذاكرته الحميمة في البلدان الإيطالية الصغيرة، يبدو أن نيكولا غراتو استحثّ من حيث لا يدري ذاكرته العربية القصية، مستدعيّاً من شعرية مختزنة في اللاوعي بعضاً من أهم خصائص الشعر الجاهلي والتي تلتقي في الكثير من جوانبها مع رسالة البقاء الجهورية في الخيال الجنوبي الإيطالي. وكان الشاعر الصقلّي نسج من بقايا ذاكرته الصغرى مشروع الذاكرة الكبرى».

يعود مايكل سبيتزر في كتابه **الإنسان الموسيقي: تاريخ الحياة على الأرض** الذي صدر حديثاً عن منشورات بلومزبري» إلى أقدم آلة موسيقية معروفة استخدمها البشر قبل أربعين ألف عام، وهي آلة نفخية صنعت من عظم نسر، كما تشير أحدث الاكتشافات الأثرية، لتكون الموسيقى سابقة بذلك على الزراعة ويدايات الاستقرار وظهور الأديان، مستعرضاً دور الأغنية والموسيقى في مجتمعات الصيد وجمع الثمار وقدرتهما على التعبير عن الأفكار والأسئلة لدى الإنسان، وكذلك التطور في نمط إنتاجه ومعيشته، وبأنهما شكّلا منذ القدم جزءاً أساسياً من حياته.

عن «الدار الليبرالية» صدرت طبعة ثانية من كتاب **حروب الردّة.. دراسة نقدية في المصادر للباحث الفلسطيني إلياس شوفاني**، الذي يتناول التفاهات السياسية التي بنت دولة الإسلام في الجزيرة العربية، وتمثّل أساسها في ضمان مصالح أهل مكة مقابل دعمهم سلطة النبي محمد، واتفاقيات أخرى وقّعتها القبائل العربية مع المدينة المنورة، ونصّت على حماية المسلمين لها مقابل لقاء مادي دون أن تعتنق غالييتها الإسلام، وكيف نكثت هذه القبائل عهدها بعد رحيل الرسول، لتندلع بسببها المعارك التي سمّيت في مرحلة متأخرة من التاريخ الإسلامي بـ«حروب الردّة».

الفن التشكيلي في دولة قطر.. ستون عاماً من الإبداع 1960-2020 عنوان الكتاب الذي صدر حديثاً عن «المؤسسة العامة للحي الثقافي - كتارا» والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» (الكسي) للفنان التشكيلي القطري حسن الملا، ويتناول العوامل المؤثرة في شخصية الحركة الفنية في قطر وسماتها، وظهر الجيل الأول من الرّواد ومنهم جاسم زيني ويوسف الشريف ووفيقة سلطان وسلمان المالك وعلي حسن الجابر، مع تقديم دراسة تفصيلية لأبرز الفنانين من الأجيال المتعاقبة، واتجاهات الفن ضمن سياقها التاريخي وما عكسته من متغيرات اجتماعية واقتصادية.

